الفصل الثالث

نماذج المرأة فى النـــادرة

حفل العديد من النوادر المذكور بها المرأة بنماذج من النساء المضحكات، وهذه النماذج أقرب ما تكون للأنماط المضحكة فى عالم الكوميديا، فهى تختلف عن المناسيب العادية للعرف الاجتماعى الذى يتمسك به الناس[1]، وبعض النساء يظهرن فى هذه النوادر غريبات الأطوار، وهن فى ذلك يتشابهن أيضًا مع النماذج المضحكة التى تظهر فى الكوميديا[2].

كذلك يمكننا أن نقول: إن هذه الشخصيات النسائية المضحكة فى النوادر، أشبه ما تكون بالشخصيات الكاريكاتورية التى يضخم فى عيوبها السلوكية أو الخُلُقية، والكوميديا المنبعثة منها أشبه بكوميديا الأمزجة، وهى التى "تقدم دراسة كاريكاتورية مبالغًا فيها فى شخصية إنسانية منتزعة من واقع المجتمع، فتعزل أبرز صفاتها، وتضخم فيها، وتنفخ، حتى تستوى الشخصية الفنية أمامنا قائمة على ركيزة نفسية واحدة"[3].

وهناك نماذج نسائية مضحكة عديدة تعرضت لها النادرة، منها المرأة الظريفة، والمرأة المشاكسة، والمرأة الماجنة، والمرأة البخيلة، والمرأة الطفيلية، ونماذج أخرى عديدة سنعرض لها فى الصفحات التالية.

---

(1) ألاردیس نیکول: علم المسرحية. ترجمة: درينى خشبة. القاهرة، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز، د.ت، ص294.

(2) انظر فى هذا: ل. ج. بوتس: الملهاة فى المسرحية والقصة. ترجمة إدوارد حليم. مراجعة: درينى خشبة. الدار المصرية للتأليف والترجمة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، ص54.

(3) د. على الراعى: مسرح الشعب "الكوميديا المرتجلة – فنون الكوميديا – مسرح الدم والدموع". القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006م، ص172.

المـرأة الظريفـة

ونمـوذج المـرأة الظريفـة، معـروف فـى الكوميـديا، وفيـه تكـون المـرأة خفيفـة الظـل، عاليـة الـذكاء، سـريعة البديهـة، حاضـرة بـالتعليق الساخر على من يواجهها، قادرة على أن ترتب كلامها بشكل جيد يثير الضحك[1].

وفى عصر صدر الإسلام نجد نساء كان لديهن روح الفكاهة، ويعـبرن عـن امـتلاكهن لهـذه الـروح بـالتعليق السـاخر، وبالأفعـال المضحكة[2]، كما نرى فى هذا الخبر الذى يعرض لنا امرأة ظريفة حاضرة البديهة تمزح مع زوجها الحاضر البديهة هو أيضًا، والممتلك لروح الدعابة مثلها.

"عن خُبَيْب بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن جده، قال: شهدت مع رسول الله ﷺ فقتلت رجلاً، وضربنى ضربة.

فتزوجت بابنته بعد، فكانت تقول: لا عدمت رجلاً وشَّحَك هذا الوشاح[3]، فأقول: لا عدمت رجلاً عجل أباك إلى النار"[4].

---

(1) انظر فى هذا: علم المسرحية، ص301.

(2) ومن ذلك يروى: "كانت سويداء (أى تصغير سوداء) لبعض الأنصار تختلف إلى عائشة فتلعب بين يديها وتضحكها، وربما دخل النبى ﷺ على عائشة فيجدها عندها فيضحكان جميعًا؛ ثم إن النبى ﷺ فقدها، فقال: يا عائشة، ما فعلت السويداء، قالت له: إنها مريضة! فجاءها النبى ﷺ يعودها، فوجدها فى الموت! فقال لأهلها: إذا توفيت فآذنونى. فلما توفيت آذنوه، فشهدها، وصلى عليها وقال: اللهم إنها حريصة على أن تضحكنى، فأضحكها فرحًا". انظر: العقد الفريد، 92/8.

(3) وشحك: أى ألبسك، والوشاح: خيطان من لؤلؤ وجوهر منظومان، معطوف أحدهما على الآخر، والوشاح: نسيج عريض يرصع بالجواهر.

(4) أخبار الظراف والمتماجنين، ص58.

وها هى ذى بعض نوادر تصوّر لنا نموذج المرأة الظريفة الذكية، وتثير الفكاهة فى تلك النوادر بتعليقاتها الظريفة المضحكة.

"عن أبى محمد [رزق الله بن عبد الوهاب] التميمى، عن عمه، قال: حكى لى جماعة أن رجلاً تقدم إلى قاضٍ، هو وزوجته، فقال: خاصمتنى وقالت: أنا أظرف منك، فقلت: إن كنت أظرف منى فأنت طالق ثلاثًا. فقال القاضى: الظرف صفات تذكر، فليذكر كل واحدٍ منكما ما يرى أنه تفرد به. فقال الرجل: مرها فلتصف من نفسها. فقالت: والله ما أعرف لنفسى حالاً أتفرد بها توجب كونى مقدمة على غيرى فى حدود الظرف. فقال الزوج: قد سبقتنى بجميع حدود الظرف بهذا القول، وأراها قد حرمت علىَّ لكونها أظرف. فقال القاضى: كذا عندى الحكم"[1].

* * *

"قيل لامرأة ظريفة: أبكر أنت؟قالت: أعوذ بالله من الكساد"[2].

* * *

"وقال المتوكل لجارية استعرضها: أنت بكر أم إيش؟ قالت: أنا إيش يا أمير المؤمنين"[3].

* * *

(1) المصدر السابق، ص44.

(2) نهاية الأرب، 18/4.

(3) المصدر السابق، 18/4.

وقال رجل لجاريةٍ أراد شراءها: كم دفعوا فيك؟ فقالت: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾"[1].

* * *

"قال الزبير بن بكارٍ: قالت بنت أختى لأهلى: خالى خير رجلٍ لأهله، لا يتخذ ضرةً، ولا يشتهى جارية؛ قالت: تقول المرأة: والله لهذه الكتب أشد علىَّ من ثلاث ضرائر"[2].

* * *

قال رجل لامرأته: أمرك بيدك؛ فقالت: قد كان فى يدك عشرين سنة، فحفظته، فلا أضيعه أنا فى ساعةٍ، وقد رددته إليك؛ فأمسكها"[3].

* * *

"نزل الموت بزوج امرأة، فقيل لها: لو دخلت على زوجك وودعته، قالت: أخاف أن يعرفنى ملك الموت"[4].

* * *

"قال أبو حنيفة: خدعتنى امرأة أشارت إلى كيس مطروحٍ فى الطريق، فتوهمت أنه لها، فحملته إليها، فقالت: احتفظ به حتى يجىء صاحبه"[5].

* * *

---

(1) سورة المدثر، من الآية 31. وانظر النادرة فى: أخبار الظراف والمتماجنين، ص150

(2) أخبار الظراف والمتماجنين، ص147.

(3) المصدر السابق، ص152.

(4) أخبار الحمقى والمغفلين، ص146.

(5) أخبار الظراف والمتماجنين، ص152.

"وزعموا أن رجلاً نظر إلى امرأة حسناء ظريفةٍ، فألح عليها، فقالت: ما تنظر؟ قرة عينك، وشيء غيرك!"[1].

* * *

"قال رجل لامرأة كان يحبها: أنا والله لك مائق[2]، أراد: وامق[3]؛ فقالت: لست والله لى وحدى بمائق، أنت والله مائق للخلق كله"[4].

* * *

"وتبع داود بن المعتمر امرأة ظنها من الفواسد، فقال لها: لولا ما رأيت عليك من سيما الخير ما تبعتك. فضحكت المرأة وقالت: إنما يعتصم مثلى من مثلك بسيما الخير. فأما إذا صارت سيما الخير من سيما الشر فالله المستعان"[5].

* * *

"كان إبراهيم بن العباس الصولى بخيلاً على الطعام، فجلست معه جارية فى بعض الأيام على المائدة والخبز مُفَرَّق. فقالت: يا سيدى. إبراهيم بن ميمون صديق لك؟ قال: نعم، وما سؤالك عنه؟ قالت: أستعير منه بغلاً من بغال البريد أدور عليه خلف هذا الخبز، فخجل وغير الرسم"[6].

* * *

---

(1) الحيوان، 260/6.

(2) المائق: الأحمق.

(3) الوامق: المحب. والمقة: المحبة. والفعل ومق.

(4) ربيع الأبرار، 45/2.

(5) العقد الفريد، 172/7.

(6) البصائر والذخائر، 47/2.

"قال داود بن الزبرقان: سفه علينا الأعمش يومًا فكلمتنا امرأة من وراء الباب وقالت: احتملوه، فواللّه ما يمنعه من الحج مذ ثلاثون[*] سنة إلا مخافة أن يلاطم زميله أو يشاتم رفيقه"[1].

* * *

"تقدمت امرأة إلى قاضٍ فقال لها: جا معك شهودك كلهم، فكستتْ، فقال كاتبه: إن القاضى يقول: هل جاء شهودك معك؟ قالت: نعم، ثم قالت: ألا قلت كما قال كاتبك؟ كبر سنك، وذهب عقلك، وعظمت لحيتك، فغطت على عقلك، ما رأيت ميتًا يقضى بين الأحياء غيرك"[2].

وبعض النساء الظريفات اللائى تعرضهن النوادر كُنّ أمهات أو زوجات لشخصيات مضحكة كأم أشعب وزوجته وزوجة أبى دلامة وزوجة مزبد وغيرهن.

ومثل هذه النوادر – عن المضحكين وأمهاتهم أو زوجاتهم – تكشف أن روح الفكاهة عند هؤلاء المضحكين مستمدة من أمهاتهم، وكذلك زوجاتهم يشاركنهم فى امتلاك روح الفكاهة.

فأم أشعب لها بعض النوادر مع أشعب تصور مشاكساتهما الظريفة، وتطلعنا فى الوقت نفسه على امتلاكها لروح الدعابة والسخرية، كما نرى فى هاتين النادرتين.

(*) كذلك تلحن هذه المرأة، والصواب "ثلاثين".

(1) المصدر السابق، 92/7.

(2) المصدر السابق، 64/7.

"وقال أشعب: أسلمتنى أمى إلى بزاز، فسألتنى بعد سنة أين بلغت؟ فقلت: فى نصف العمل. قالت: وكيف؟ قلت: تعلمت النشر وبقى الطىّ، قال: أنت لا تفلح"[1].

* * *

"قال أشعب لأمه: رأيتك فى النوم مطلية بعسلٍ وأنا مطلى بعذرةٍ: فقالت: يا فاسق هذا عملك الخبيث كساكه الله ﷻ.

قال: إن فى الرؤيا شيئًا آخر، قالت: ما هو؟ قال: رأيتنى ألطعك وأنت تلطعينى، قالت: لعنك الله يا فاسق"[2].

وكذلك كانت زوجة أشعب ظريفة تشاركه روح الدعابة، كما نرى فى هذه النادرة.

"بينا أشعب يومًا يتغدى إذ دخلت جارة له، ومع أشعب امرأته تأكل، فدعاها لتتغدى، فجاءت الجارة فأخذت العرقوب بما عليه – وأهل المدينة يسمونه عُرقوب رب البيت –.

فقام أشعب فخرج ثم عاد فدق الباب. فقالت له امرأته: يا سخين العين ما لك! قال: أدخل؟ قالت: أتستأذن أنت، وأنت رب البيت؟ قال: لو كنت رب البيت ما كانت العرقوب بين يدى هذه"[3].

---

(1) الحصرى القيروانى: زهر الآداب وثمر الألباب. تحقيق: على محمد البجاوى. القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبى وشركاه، د.ت، 163/1، وانظر أيضًا: جمع الجواهر، ص68، وأخبار الظراف والمتماجنين، ص69، والأغانى، 139/19.

(2) الأغانى، 152/19.

(3) المصدر السابق، 155/19.

ومُزَبِّد – أحد المضحكين فى العصر العباسى – كانت زوجته ظريفة، وتشاركه فى بعض النوادر فى إثارة الضحك كما نرى فى هذه النادرة.

"وقالت امرأة مزبد – وكانت حبلى، ونظرت إلى قبح وجهه –: الويل لى إن كان الذى فى بطنى يشبهك.

فقال لها: الويل لى إن كان الذى فى بطنك لا يشبهنى"[1].

وفى نادرة أخرى نرى زوجة مزبد مع جارة لها تتحدثان حديثًا يدل على ظرفهما وروحهما المرحة.

"قالت امرأة مزبد لجارةٍ لها: يا أختى؛ كيف صار الرجل يتزوج بأربعة، ويملك من الإماء ما يشاء، والمرأة لا تتزوج إلا واحدًا! ولا تستبد بمملوكٍ؟

قالت لها: يا حبيبتى، قوم الأنبياء منهم، والخلفاء منهم، والقضاة منهم، والشرط منهم، تحكموا فينا كما شاءوا، وحكموا لأنفسهم بما أرادوا"[2].

المرأة الظريفة قوية الحجة

وهناك نوادر تصوِّر نموذجًا آخر من المرأة، هو المرأة الظريفة الذكية، ولكنها فى الوقت نفسه قوية الحجة، تفحم من يناقشها من النساء أو من الرجال.

---

(1) نثر الدر، 237/3، وانظر أيضًا: نهاية الأرب، 24/4- 25.

(2) نثر الدر، 241/3- 242.

وتبدو هذه النوادر التى بها ذلك النموذج من المرأة أشبه بالمناظرات القصيرة، التى تقضى فيها المرأة على من تجابهه بالضربة القاضية، فلا يحير جوابًا عند ذلك.

وفى الوقت نفسه يكون كلامها المفحم لمن يواجهها – فى هذه النوادر – مثيرًا جدًّا للضحك، كما نرى فى هذه النوادر.

"وعُرِض على المعتصم جاريتان بكر وثيب، فمال إلى البكر، فقالت الثيب: ما بيننا إلا يوم واحد. فقالت البكر: ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾[1]"[2].

* * *

"قال الجاحظ: طلب المعتصم جارية كانت لمحمود الوراق، وكان نَخَّاسًا، بسبعة آلاف دينارٍ، فامتنع محمود من بيعها، فلما مات محمود اشتريت للمعتصم من ميراثه بسبع مئة دينارٍ، فلما دخلت إليه، قال لها: كيف رأيتِ؟ تركتك حتى اشتريتك من سبعة آلافٍ بسبع مئةٍ! قالت: أجل! إذا كان الخليفة ينتظر لشهواته المواريث، فإن سبعين دينارًا كثيرة فى ثمنى فضلاً عن سبع مئةٍ؛ فأخجلته"[3].

* * *

(1) سورة الحج: من الآية 47.

(2) النادرة فى نهاية الأرب، 18/4.

(3) أخبار الظراف والمتماجنين، ص151.

"وقفت امرأة قبيحة على عطارٍ ماجنٍ، فلما رآها، قال: ﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾[1]، فقالت: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ ﴾[2]"[3].

* * *

"قال رجل لنسوةٍ: إنكن صواحب يوسف، فقلن: فمن رماه في الجب، نحن أو أنتم؟"[4].

* * *

"أراد شُعَيْب بن حربٍ أن يتزوج امرأة، فقال لها: إني سيىء الخلق، فقالت: أسوأ خلقًا منك من يحوجك إلى أن تكون سيىء الخلق"[5].

* * *

"خرج رجل، فقعد يتفرّج على الجسر، فأقبلت امرأة من جانب الرُّصافة متوجهة إلى الجانب الغربي، فاستقبلها شاب، فقال لها: رحم الله على بن الجهم؛ فقالت المرأة: رحم الله أبا العلاء المعرى؛ ومرا.

قال: فتبعت المرأة، وقلت لها: إن لم تقولي ما قلتما فضحتك. فقالت: قال لي: رحم الله على بن الجهم يريد قوله:

---

(1) سورة التكوير، الآية 5.

(2) سورة يس، من الآية 78.

(3) أخبار الظراف والمتماجنين، ص152.

(4) المصدر السابق، ص151.

(5) المصدر السابق، ص147.

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

وأردت بترحمى على أبى العلاء قوله:

فيا دارها بالحَزْن إن مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوالُ"[1].

* * *

"زحمت مدنية رجلاً فقال: المستعان بالله منكن، ما أكثركن؟ فقالت: يا هذا نحن على الكثرة وأنتم تبتغون ما وراء ذلك، فليت شعرى لو كان فينا قلة ماذا كنتم تعملون؟"[2].

* * *

"ولما خرجت الخوارج بالأهواز، أخذوا امرأة فهموا بقتلها؛ فقالت لهم: أتقتلون ﴿ مَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾[3]. فأمسكوا عنها"[4].

* * *

"طلق أعرابى امرأته فقالت: ولم تطلقنى؟ قال: لقبح منظرك، وسوء مخبرك، والله إنك ما علمت لدائمة الذَّرب، كثيرة الصخب. مُبَغَّضة فى الأهل، مشنوءة عند البعل، قصيرة الأنامل، متقاربة القَصَب، جبهتك نابية، وعورتك بادية، أكرم الناس عليك من أهانك، وأهون

(1) المصدر السابق، ص148- 149.

(2) ربيع الأبرار، 61/2.

(3) سور الزخرف: من الآية 18.

(4) العقد الفريد، 128/7.

الناس عليك من أكرمك، قالت: وأنت والله إن نطق القوم أُفحمت، وإن ذُكر الجود انقمعت، ضيفك جائع، وجارك ضائع، القليل منك إلى غيرك كثير، والكثير من غيرك إليك قليل"[1].

* * *

قال الجاحظ: "رأيت جارية بسوق النخاسين ببغداد ينادى عليها وعلى خدها خال، فدعوت بها وجعلت أُقَلِّبها.

فقلت لها: ما اسمك؟ قالت: مكة. فقلت: الله أكبر قرب الحج أتأذنين أن أقبل الحجر الأسود؟ قالت له: إليك عنى ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿ لَّمْ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ﴾[2]"[3].

* * *

قال الجاحظ: "رأيت بالعسكر امرأة طويلة القامة جدًّا، ونحن على طعام، فأردت أن أمازحها، فقلت: انزلى حتى تأكلى معنا. قالت: وأنت، فاصعد حتى ترى الدنيا"[4].

* * *

---

(1) البصائر والذخائر، 70/9.

(2) سورة النحل، الآية 7.

(3) الأذكياء، ص247.

(4) المصدر السابق، ص247، وانظر أيضًا: أخبار الظراف والمتماجنين، ص147.
والمرأة فى النادرة تشير لقصر الجاحظ.

"قال يموت بن المُزَرَّع[1]: قال لنا الجاحظ: كنت مجتازًا فى بعض الطرقات، فإذا أنا بامرأتين، وكنت راكبًا على حمارةٍ، فضرطت الحمارة، فقالت إحداهما للأخرى: وى! حمارة الشيخ تضرط!

فغاظنى قولها فأعننت[2] ثم قلت: إنه ما حملتنى أنثى قط إلا ضرطت. فضربت بيدها على كتف الأخرى، وقالت: كانت أم هذا منه تسعة أشهر فى جَهْدٍ جهيد"[3].

ويضحكنا فى بعض النوادر السابقة أن نرى بعض النساء أفحمن الجاحظ البليغ المتكلم المشهور بقوة حجته.

كذلك يضحكنا أن نرى امرأة تدعى النبوة تظرفًا، وتجادل المأمون المعروف بسعة علمه وقوة حجته، ومع ذلك تفحمه، وها هى ذى تلك النادرة.

"وادعت امرأة النبوة على عهد المأمون فأحضرت إليه، فقال لها: من أنت؟ قالت: أنا فاطمة النبية، فقال لها المأمون: أتؤمنين بما جاء به محمد ﷺ، قالت: نعم، كل ما جاء به فهو حق.

---

(1) يموت بن المزرّع هو ابن أخت الجاحظ، وقدم بغداد وهو شيخ كبير سنة إحدى وثلاث مائة. وكان إخباريًّا وله ملح ونوادر، وكان لا يعود مريضًا خوفًا من أن يتطير من اسمه. وكان يقول: بليتُ بالاسم الذى سمانى به أبى وإذا عدت مريضًا وقيل من هذا؟ قلت: ابن المزرّع، وأسقط اسمى. انظر: الصفدى: الوافى بالوفيات. تحقيق: أحمد الأرناؤوط. وتركى مصطفى، 28/29.

(2) أعننت اللجام: جعلت له عنانًا، وأعننت الفرس: حبسته به.

(3) أخبار الظراف والمتماجنين، ص146- 147، وانظر أيضًا: الأذكياء، ص156- 157.

فقال المأمون: فقد قال محمد ﷺ: "لا نبى بعدى". قالت: صدق عليه الصلاة والسلام، فهل قال: لا نبية بعدى؟ فقال المأمون لمن حضره: أما أنا فقد انقطعت، فمن كانت عنده حجة فليأت بها، وضحك حتى غَطَّى على وجهه "[1].

المرأة الظريفة البليغة

وهناك نوادر تصوِّر لنا نساء امتلكن روح الدعابة والسخرية، وكن فى الوقت نفسه بليغات أى يمتلكن القدرة على التعبير البليغ والتصوير الرائع المشحون بالسخرية كما نرى فى هذه النادرة.

"كان للشاعر المعروف بالدقيش أنف طويل وأسنان كبار، فقالت امرأته، أى شىء، تشبه؟ قال. لا [أدرى] واللّه، قالت يشبه أنفك هذا الطويل وفمك وأسنانك كأنك واللّه ديك يطلع فى كُوز فى فمه قرطم. فقال لها: لعنك اللّه، أنا شاعر ولا أحسن هذا التشبيه"[2].

المرأة العاشقة الظريفة

العاشقة الظريفة هى امرأة محبة، ولكنها تحب شخصًا غريب الأطوار، له تصرفات غريبة، وتضحكنا تصرفاته الغريبة، وتعليقاتها هى أيضًا عليه، وكذلك يضحكنا أن نجد نساء يحببن شخصيات غريبى الأطوار كالبخيل والطفيلىّ والطماع.

وغالبًا ما تركز النوادر التى تعرض المرأة العاشقة الظريفة على المحب العاشق الغريب الأطوار، أكثر مما تركز عليها هى نفسها.

---

(1) نهاية الأرب، 4/14- 15.

(2) البصائر والذخائر، 3/89.

كما نرى فى هاتين النادرتين عن أشعب وعاشقته.

"وكان أشعب يعشق امرأة بالمدينة ويتحدث فيها حتى عرف بها، فقال لها جاراتها: لو سألته شيئًا.

فأتاها يومًا فقالت: إن جاراتى يقلن ما يصلك بشىء. فخرج عنها ولم يقربها شهرين. ثم أتاها فأخرجت له قدحًا فيه ماء، فقالت له: اشرب هذا للفزع! فقال: بل أنت اشربيه للطمع. ومضى فلم يعد إليها"[1].

* * *

قالت صديقة أشعب لأشعب: "هب لى خاتمك أذكرك به، قال اذكرينى أنى منعتك إياه؛ فهو أحب إلىّ"[2].

وكان أبو الحارث جُمَّيْن[3] أحد المضحكين الظرفاء فى العصر العباسى الأول، ونرى علاقته بعاشقته شبيهة بعلاقة أشعب

---

(1) جمع الجواهر، ص67- 68، وانظر أيضًا: الأغانى، 152/19.

(2) الأغانى، 151/19، وانظر أيضًا: جمع الجواهر، ص67، وزهر الآداب، 162/1.

(3) كان أبو الحارث جمين مدنيًّا، وولاؤه لبيت حمزة بن عبد المطلب، ويظهر من بعض أخباره أن أكبر صلته كانت بمحمد بن يحيى البرمكى وعيسى بن جعفر، وكانا يصلانه بالرشيد أحيانًا.

ونوادره كثيرة جدًّا، وقد ذكر عددًا منها الجاحظ فى كتاب البخلاء، والحصرى فى كتاب جمع الجواهر فى الملح والنوادر، والخطيب البغدادى فى كتاب البخلاء.

وكثير من نوادره تتعلق بالطعام وحضور موائده، وكان أبو الحارث من أولئك الذين يتجرون بالنادرة فى العراق كأبى دلامة وابن دراج ومن إليهما: يدعوهم السُّراة إلى مجالسهم، ويحضرونهم طعامهم، وربما أجزلوا الجائزة لهم. وقد كانوا يعدونهم أداة من أدوات الترف ومظهرًا من مظاهر السراوة، لا غناء لهم عنه.

انظر: تعليقات الدكتور طه الحاجرى فى كتاب البخلاء للجاحظ، ص261، وانظر أيضًا: نثر الدر، 247/3، 249، 250، 251، وجمع الجواهر، ص215- 216، والبخلاء للجاحظ، ص72.

السابقة بعاشقته، وهى مثلها ظريفة تشارك عاشقها روح الدعابة، كما نرى فى هذه النادرة.

ودعت أبا الحارث جمين "امرأة كان يحبها، فجعلت تحادثه ولا تذكر الطعام، فلما طال ذلك به قال: جعلنى الله فداءك، لا أسمع للغداء ذكرًا.

قالت له: أما تستحى! أما فى وجهى ما يشغلك عن هذا؟ قال: جعلنى الله فداءك، لو أن جميلاً وبثينة قعدا ساعة لا يأكلان شيئًا لبزق كل منهما فى وجه صاحبه"[1].

وكذلك نرى أبا القُماقم – وهو أحد الظرفاء الذين حدثنا الجاحظ عنهم فى كتاب البخلاء[2] – يستغل عاشقته من أجل إشباع نهمه للطعام الذى تطبخه له، كما تصوّر لنا هذا تلك النادرة.

"وتعشق أبو القُمَاقِم واحدة، فلم يزل يتبعها، ويبكى بين يديها، حتى رحمته. وكانت مكثرة وكان مقلاً. فاستهداها هريسة، وقال: أنتم أحذق بها. فلما كان بعد أيام تشهى عليها رؤوسًا، فلما كان بعد قليل طلب منها حَيْسَة.

فلما كان بعد ذلك تشهى عليها طفيشيلة.

قالت المرأة: رأيت عشق الناس يكون فى القلب وفى الكبد وفى الأحشاء، وعشقك أنت ليس يجاوز معدتك"[3].

---

(1) نثر الدر، 251/3.

(2) البخلاء للجاحظ، ص124- 125.

(3) المصدر السابق، ص124- 125

وكذلك يحدثنا الجاحظ عن عاشق طفيلى آخر، يسأل محبوبته عن الطعام الذى يرغب فيه، وبعد أن عملت له بعض أصناف منه، وطلب غيرها ردت عليه بشكل ظريف كالنادرة السابقة.

قال الجاحظ: "كان عندنا فتى يعشق جارية، فكتب إليها يومًا جعلت فداك ابعثى إلىّ بشىء من الخبيص والخشكنانج[1]؛ فإن عندى قومًا من القراء، فبعثت إليه.

فلما كان اليوم الثانى كتب إليها: جعلت فداك ابعثى إلىّ بشىء من النبيذ وما يصلحه فإن عندى قومًا من القيان.

فكتبت إليه: أبقاك الله وحفظك، رأينا الحب يكون فى القلب، فإذا فشا دب فى المفاصل. وحبك ما يزول من المعدة وأراك طفيليًّا تتأكل بالعشق"[2].

وتتشابه النوادر السابقة فى أن العاشق للمرأة المعشوقة – والعاشقة فى الوقت نفسه – هو شخص طفيلى محب للطعام، يستغل حبه للمرأة التى يحبها فى أن تعدّ له أصنافًا من الطعام يشتهيها، وتنتبه هى لطريقة عشقه الغريبة، وتسخر منه لذلك.

وهناك علاقة عشق غريبة خارج هذا الإطار، فهذا نحوى يستعمل الغريب من الكلمات فى حديثه مع الناس، ويحادث حبيبته بهذه الألفاظ الغريبة المهجورة، فترد عليه بأسلوب ساخر، كما نرى فى هذه النادرة.

---

(1) الخبيص والخشكنانج: كلاهما من أنواع الطعام. الخبيص: يصنع من التمر والسمن، والخشكنانج: كلمة معربة معناها خبزة تصنع من خالص دقيق الحنطة، وتملأ بالسكر واللوز، أو الفستق وتقلى.

(2) التطفيل، ص27- 28.

"قال أبو علقمة النحوى لجاريةٍ كان يهواها: يا خريدة، إخالك عروبًا، فما بالنا نمقك وتشنئينا [1]؟ فقالت: ما رأيت أحدًا يحب أحدًا ويشتمه سواك"[2].

المرأة واسعة الحيلة

والنوادر التى بها امرأة واسعة الحيلة تصوّر ذكاءها وقدرتها على صنع حيلها الطريفة، ونجاحها فى ذلك، وأحيانًا تنفرد بعمل هذه الحيل، وأحيانًا أخرى يشاركها زوجها فيها، ونراها فى بعض النوادر تقوم بحيلها الظريفة، ولكنها تفشل؛ لأن هناك رجالاً أكثر مهارة منها فى سعة الحيلة، يدركون حيلها، ويبطلونها، وتجوز حيلهم هم عليها.

وها هى ذى نادرة نرى فيها امرأة واسعة الحيلة، تتخلص من مشكلة عويصة تعرضت لها.

ونظر مزبد "يومًا إلى امرأته تصعد فى درجةٍ، فقال: أنت الطلاق إن صعدت، وأنت الطلاق إن وقفت، وأنت الطلاق إن نزلت.

فرمت بنفسها من حيث بلغت. فقال لها: فداك أبى وأمى! إن مات مالك احتاج إليك أهل المدينة فى أحكامهم"[3].

وتشارك المرأة زوجها فى نسج بعض الحيل الطريفة، كما نرى فى هاتين النادرتين.

---

(1) شنأ: أبغض وكره.

(2) جمع الجواهر، ص225.

(3) نثر الدر، 235/3.

"قص واحد ومعه تعاويذ يبيعها، فجعلوا يسمعون قصصه ولا يشترون التعاويذ، فأخذ محبرته وقال: من يشترى منى كل تعويذة بدرهم، حتى أقوم وأغوص فى هذه المحبرة باسم الله الأعظم الذى قد كتبته فى هذه التعاويذ.

فاشتريت منه التعاويذ فى ساعة وجمع دراهم كثيرة. وقالوا له: قم فادخل الآن فى المحبرة.

فنزع ثيابه وتهيأ لذلك والجهال يظنون أنه يغوص فيها. فبدرت امرأة من خلف الناس وتعلقت به، وقالت: أنا امرأته، من يضمن لى نفقتى حتى أتركه يدخل، فإنه دخلها عام أول، وبقيت ستة أشهر بلا نفقة"[1].

* * *

أقام جيران جحا "وليمة عرس ولم يدعوه إليها: ثم خرجت امرأته مسرعة داخلة بيت الجيران، وهو يجرى خلفها بعصاه، فأمسكوا به وجعلوا يهدئون غضبه.

ثم مدت الموائد فعزموا عليه واعتذروا له من تقصيرهم فى دعوته، فجعل يلتهم الطعام ويقول: ما أعجب امرأتى، لقد عرفت أين تلقى بنفسها، ولو وقفت لأدرتها كهذا الطبق، وشددتها كما أشد هذا الصدر والورك، ومزقتها كما أمزقهما.

---

(1) المصدر السابق، 289/4.

وبعد أن انتهت الوليمة قال: علمنا بالعرس ولم تدعونا إليه، ففكرت مع امرأتى طويلاً ولم نجد وسيلة إلا أن نتصنع المشاجرة، فابعثوا إلى امرأتى من يخبرها أنى راضٍ عنها وأنى أريد الانصراف"[1].

ونجد أحيانًا المرأة الظريفة واسعة الحيل تتفوق على زوجها فى الذكاء، وتخلصه بسعة حيلتها من المواقف الصعبة التى قد يتعرض لها، كما نرى ذلك فى هذه النادرة.

"قال أبو بكر بن عياش: كان بالكوفة رجل قد ضاق معاشه، فسافر، وكسب ثلاث مئة درهم، فاشترى بها ناقة فارهة، وكانت زَعِرَةً، فأضجرته، واغتاظ منها، فحلف بالطلاق ليبيعنها يوم يدخل الكوفة بدرهم، ثم ندم، فأخبر زوجته بالحال، فعمدت إلى سنورٍ، فعلقتها فى عنق الناقة، وقالت: ناد عليها: من يشترى هذا السنور بثلاث مئة درهم والناقة بدرهم! ولا أفرق بينهما؛ ففعل، فجاء أعرابى، فقال: ما أحسنك! لولا هذا البتيارك الذى فى عنقك"[2].

وفى النادرة التالية نرى المرأة واسعة الحيلة ترتد عليها حيلتها؛ لأنها صادفت شخصًا أشد حيلة ودهاء وظرفًا منها.

"وكره رجل وامرأته ضيفًا كان عندهما، فقال الرجل لامرأته: كيف نعلم مقدار مقامة[3]؟ فقالت: ألق بيننا شرًّا حتى نتحاكم إليه، ففعل.

---

(1) أخبار جحا، ص166.

(2) أخبار الظراف والمتماجنين، ص150.

(3) مقامه: إقامته.

فقالت للضيف: بالذى يبارك لك فى غدوك غدًا، أينا أظلم؟ فقال الضيف: والذى يبارك لى فى مقامى عندكم شهرًا ما أعلم"[1].

المرأة الحمقاء

الحمق أو الغفلة "من بواعث الضحك؛ لأن المغفل يفاجىء الناس بغير ما يتوقعون، فهو يرى ما ليس موجودًا، ويسمع ما ليس ملفوظًا، وينطق بما لا يوافق المقام، لأنه فى وادٍ والناس فى وادٍ، فهو فى عالم الخرافة والخيال والوهم، والناس فى عالم الحقيقة والواقع؛ ولهذا يفاجئهم بغير ما يتوقعون، فيضحكهم"[2].

وكذلك يضحكنا الأحمق بمغالطاته التى لا تتفق مع المنطق، ويبدو كأنه قد ألغى عقله تمامًا[3].

وتحفل النوادر والحكايات العربية القديمة بشخصية الأحمق المثيرة للضحك[4].

وأكثر النوادر التى تصوّر لنا شخصية الأحمق نرى بها الرجل الأحمق، ولكن توجد بعض النوادر القليلة تصوّر لنا المرأة الحمقاء، وتقوم فى هذه النوادر بأفعال غريبة مضحكة، كهذه النادرة التى تبدو المرأة فيها تجاوزت الحمق إلى الجنون، وتضحكنا بتصرفها الغريب.

---

(1) المصدر السابق، ص94.

(2) د. أحمد محمد الحوفى: الفكاهة فى الأدب أصولها وأنواعها. نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، يناير 2001م، ص29.

(3) د. شوقى ضيف: الفكاهة فى مصر. القاهرة، دار المعارف، ط3، ص12.

(4) د. ر. بلا شير: تاريخ الأدب العربى. ترجمة: د. إبراهيم الكيلانى. بيروت، دار الفكر المعاصر، دمشق، دار الفكر، 1419هـ/ 1998م، ص903.

قال أبو العنبس: "اجتزت فى بعض الطريق لحاجة، فإذا امرأة عرضت لى فقالت: هل لك أن أزوجك جارية فيجيئك منها ابن؟ قلت: نعم، قالت: وتدخله الكتاب، فينصرف فيلعب، فيصعد إلى السطح فيقع فيموت. وصرخت: ويلاه ولطمت، ففزعتُ.

وقلت: هذه مجنونة وهربت من بين يديها، فرأيت شيخًا على باب، فقال: ما لك يا حبيبى؟ فقصصت عليه القصة. فلما انتهيت إلى موضع لطمها استعظم ذلك، وقال: لا بد للنساء من البكاء إذا مات لهن ميت، فإذا هو أحمق منها وأجهل"[1].

وإذا كانت النادرة السابقة صورت لنا شخصية امرأة حمقاء ورجل أحمق منها، فإن هناك نوادر تعرض لنا المرأة الحمقاء فحسب، كهذه النوادر.

"رجع بعض القريشيين إلى امرأته، وكانت قريشية وقد حلقت شعرها، وكانت أحسن النساء شعرًا، فقال: ما خطبك؟ فقالت: أردت أن أغلق الباب فلمحنى رجل ورأسى مكشوف فحلقته، وما كنت لأدع شعرًا رآه من ليس لى بمحرم"[2].

* * *

"وقال أبو العنبس: سمعت حمدة بنت الخراسانى فى ليلة كسوف وهى تبكى وتتضرع وتقول: يا رب. عذبنى بكل شىء ولا تعذبنى بالنار. اضربنى بالفالج. ارمنى بقاصمة الظهر. كل شىء ولا النار أصرخ والله

(1) أخبار الحمقى والمغفلين، ص163.

(2) المصدر السابق، ص185، وانظر أيضًا: البصائر والذخائر، 50/3.

وأصيح. إن أُحرقت ثيابى أبقى مجردة. قال: وكانت مثل ياسمينة نقية أو فضة مصفاة. إلا أنها كانت بلهاء"[1].

* * *

"قالت أم غزوان الرقاشى لابنها، وهو يقرأ فى المصحف: يا غزوان، لعلك تجد فى هذا المصحف حمارًا كان أبوك فى الجاهلية فقده! فقال: يا أماه، بل أجد فيه وعدًا حسنًا ووعيدًا شديدًا"[2].

والنوادر التى تصف جحا بالحمق كثيرة، وفى بعضها تشاركه زوجته فى تلك الصفة، كهذه النادرة عنهما.

"أراد جحا أن يبيع حماره، فذهب إلى السوق وأعطاه للدلال ليبيعه، فجعل الدلال يدور به وينادى: هذا حمار سريع السير، متين التركيب، واسع الخطا، لا يشعر راكبه بأى تعب.

فجعل الناس يتزايدون عليه حبًّا فى هذه المزايا الكثيرة، وسمع جحا هذه الأوصاف، ورأى الناس يتزايدون، فقال فى نفسه: لا بد أن الحمار به هذه الصفات وأنا لا أدرى، وبسرعة اندفع بين المتزايدين، وجعل يتبارى معهم فى رفع ثمنه، إلى أن توقفوا ورسا البيع عليه هو.

فأخرج نقوده من كيسه وعد للدلال الثمن، وأمسك بالحمار وانصرف إلى البيت مسرورًا بحماره.

---

(1) البصائر والذخائر، 108/4.

(2) العقد الفريد، 172/7.

وفى المساء جلس مع امرأته يقص عليها نبأ المزايدة، فقالت له: وأنا سأحدثك بأمر أعجب من هذا، فقد مر أمام دارنا بائع القشطة فناديته، وجعل يزن لى.

فغافلته ووضعت أساورى الذهب فى الكفة التى بها السنج ليرجح الميزان، ثم أخذت الوعاء ودخلت، وتركتها فى الكفة حتى لا يشعر بأنى غافلته.

فقال لها جحا :بارك الله فيك، أنا من الخارج، وأنت من الداخل، وبهذا يعمر البيت"[1].

الزوجة المشاغبة

ومن النماذج الكوميدية التى نراها فى النوادر – وفى الأفلام والمسرحيات والمسلسلات فى عصرنا – المرأة المشاغبة، التى تضايق زوجها وتشغب عليه كثيرًا لأتفه الأسباب، بل إنها أحيانًا تتجرأ عليه فتقسو له فى القول.

ويبدو أن زوجة أبى دلامة كانت تشغب عليه أحيانًا، كما توضح لنا هذه النادرة التى يتحدث عنها خلالها فى أبيات شعرية له.

"دخل أبو دلامة على أبى جعفر المنصور فأنشده وذكر زوجته:

فاخرنطمت ثم قالت وهى مغضبة ... أأنت تتلو كتاب الله يالكع؟!

قم كى تبيع لنا نخلاً ومزدرعًا ... كما لجارتنا نخل ومزدرع

خادع خليفتنا عنها بمسألةٍ ... إن الخليفة للسؤال ينخدع

---

(1) أخبار جحا، ص108.

قال: قد أمرنا لك بمائة جريب عامر، ومائة جريب غامر. فقال: وما الغامر يا أمير المؤمنين؟ قال: الذى لا ينبت، قال: فإنى أقطعك عشرة آلاف جريب من فيافى بنى أسد.

فضحك وأمر له بالجميع عامرًا، فقال: ائذن لى فى تقبيل يدك يا أمير المؤمنين؟ فقال: أما هذه فدعها، فقال: ما منعت عيالى شيئًا أسهل عليهم من هذه"[1].

وأيضًا نجد زوجة جحا – فى بعض النوادر – تقوم بمشاكسته، وتدور بينهما خلال ذلك مواقف طريفة، كما نرى فى هذه النادرة.

"جلس جحا يأكل مع زوجته، وكان الحساء ساخنًا، فشربت زوجته قليلاً منه، فأحرق فمها، ودمعت عيناها.

فقال لها: لماذا تدمع عيناك؟ فقالت: تذكرت المرحومة أمى فبكيت.

فتناول جحا قليلاً من الحساء، فأحرق فمه ودمعت عيناه، فسألته زوجته: وأنت لماذا تدمع عيناك؟ فقال: أبكى على أمك الخبيثة التى ولدت لئيمة مثلك وسلطتها علىّ"[2].

والمرأة المشاكسة المشاغبة يتحملها زوجها بصعوبة شديدة، ويعانى من عيشته معها. وتصوِّر لنا إحدى النوادر ردّ شخص على من سأله كيف سيكون حاله لو ماتت زوجته – التى يبدو أنها شديدة السوء فى معاملتها إياه – :

---

(1) جمع الجواهر، ص100- 101.

(2) أخبار جحا، ص110.

قيل لبعضهم: "أتحب أن تموت امرأتك؟ قال: لا ، قيل: لِمَ؟ قال: أخاف أن أموت من الفرح"[1].

الحماة المشاكسة

وتعد الحماة المشاكسة نمطًا كوميديًّا معروفًا فى الأعمال الدرامية المصرية الحديثة، ومع ذلك تعرضت له بعض النوادر القديمة، كما نرى فى هذه النادرة.

"قال أبو القاسم عبيد الله بن عمر البقال: تزوج شيخنا أبو عبد الله بن المُحرَم، وقال لى: لما حملت إلىَّ المرأة جلست فى بعض الأيام أكتب شيئًا على العادة، والمحبرة بين يدىّ.

فجاءت أمها، فأخذت المحبرة. فضربت بها الأرض، فكسرتها، فقلت لها فى ذلك، فقالت: هذه شر على ابنتى من ثلاث مئة ضرة"[2].

المرأة الماجنة

ومن النماذج التى تعرضت لها النادرة للمرأة نموذج المرأة الماجنة، التى قد يصل مجونها إلى فعل الفاحشة، وقد تكون بغيًّا تمارس الرذيلة، ولا يأخذها رادع عن ترك ما تفعله.

وكثيرًا ما تكون هذه المرأة الماجنة من الجوارى المغنيات و الراقصات، وأحيانًا تكون من النساء الحرائر اللائى انغمسن فى الرذيلة.

---

(1) أخبار الظراف والمتماجنين، ص129.

(2) المصدر السابق، ص147.

وهـذه نـادرة نـرى بهـا امـرأة ماجنـة مـع عشـيقها والقـواد الـذى جمعهما فى منزله.

وهذا ثالوث غريب يثير الضحك فى حد ذاته يذكرنا بالثالوث المشـهور فـى بعـض المسـرحيات الكوميديـة ألا وهـو الـزوج والزوجـة والعشيق.

وها هـى ذى النـادرة التـى بهـا ذلـك الثالوث الآخـر الأعجب، وهـو العاشق والعاشقة والقواد.

"جمع مزبد بين رجل وعشيقته فى منزله، فعابثها ساعة، ثم أراد أن يمد يده إليها، فقالت: ليس هذا موضعه.

وسمـع مزبـد قولهـا فقـال: يـا زانيـة، فـأين موضـعه؟ بـين الـركن والمقـام؟ أم بـين القـبر والمنـبر؟ والله مـا بنيـت هـذه الـدار إلا للقحـاب والقوَّادات، ولا دفع ثمـن خشـبها إلا مـن القمـار، فـأى موضـع للزنـى أحـق منها؟"[1].

وفى بعض النوادر تظهـر المـرأة الماجنـة جريئـة لا تحتـاط فـى قولهـا ولا أفعالها، بل تبدو أجـرأ مـن الرجـل علـى فعـل الفحـش، كمـا نـرى فـى هذه النادرة.

"كتب رجل إلى عشيقته رقعة، قال فى أولها: عصمنا الله وإياك بـالتقوى، فكتبـت إليـه فـى الجـواب: يـا غليظ الطبـع، إن اسـتجاب الله دعاءك لم نلتق أبدًا"[2].

---

(1) نثر الدر، 244/3، وانظر أيضًا: نهاية الأرب، 24/4- 25.

(2) نهاية الأرب، 21/4.

وها هى ذى امرأة أخرى ماجنة، لا تتعظ من التنكيل بأم أشعب التى بغت ويطاف بها، بل نرى منها جرأة غريبة فى الدعوة للفحش والمجون.

قيل: "بغت أم أشعب، فضربت، وحلقت، وحملت على بعير يطاف بها، وهى تقول: من رآنى فلا يزنينَّ.

فأشرفت عليها ظريفة من أهل المدينة. فقالت لها: إنك لمطاعة!! نهانا الله عنه، فما ندعه، وندعه لقولك؟!"[1].

وبعض هؤلاء النساء الماجنات يرغبن فى التوبة، ولكن سمعتهن السيئة السابقة تجعل البعض يتشكك فى صحة هذه التوبة، كما نرى فى هذه النادرة.

"سمع أشعب حُبَّى المدينية تقول: اللهم لا تمتنى حتى تغفر لى ذنوبى، فقال لها: يا فاسقة أنت لم تسألى الله المغفرة إنما سألتيه عمر الأبد، يريد أنه لا يغفر لها أبدًا"[2].

---

(1) نثر الدر، 315/5.

(2) الأغانى، 154/19، ونظن أن حُبّى المدينية هذه قد تابت، فلها أقوال تدخل فى إطار الحكمة والوعظ، كما نرى فى هذه الرواية.

"قيل لحبى المدينية: ما الجرح الذى لا يندمل؟ قالت: حاجة الكريم إلى اللئيم ثم لا يُجْدَى عليه. قيل لها: فما الذل؟ قالت: وقوف الشريف بباب الدنى ثم لا يؤذن له. قيل لها: فما الشرف؟ قالت: اعتقاد المنن فى أعناق الرجال، تبقى للأعقاب فى الأعقاب". انظر: رسائل الجاحظ. كتاب الحجاب، 72/2.

الأعرابية الجاهلة بأمور الدين

ومن النماذج الفكاهية للمرأة التى انفردت بها النادرة نموذج المرأة الأعرابية الجاهلة بشعائر الدين – شأنها شأن الأعرابى الذى لم يفهم مبادئ الإسلام وشعائره جيدًا – ولهذا تُسىء التصرف حين قيامها بهذه الشعائر.

ولا نستبعد أن يكون الشعوبيون قد أضافوا الكثير من هذه النوادر للأعراب رجالاً ونساء للسخرية منهم خلال صراعهم مع العرب – فى القرنين الثانى والثالث الهجريين فترة الصراع الشديد مع الشعوبية الفارسية على وجه الخصوص – ومع ذلك فيظن أن بعض هذه النوادر صحيحة النسبة للأعراب رجالاً ونساءً، خاصة أن الله سبحانه وتعالى ذكر فى كتابه ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[1].

ووصفهم الله بأن إيمانهم لما يكتمل بعد فى قوله تعالى: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2].

---

(1) سورة التوبة، الآية 97.

(2) سورة الحجرات، الآية 14.

ونوادر الأعراب – بشكل عام – مثيرة جدًّا للفكاهة فهم يتصرفون بفطرتهم التى نشئوا عليها فى البادية، ويتعاملون – أحيانًا – طبقًا لأعرافهم وعاداتهم حتى لو خالف بعضها الإسلام.

ويرى الجاحظ أن نوادر الأعراب من أطرف نوادر العرب، وذلك فى قوله: "وأنا أستطرف أمرين استطرافًا شديدًا: أحدهما استماع حديث الأعراب والأمر الآخر احتجاج متنازعين فى الكلام، وهما لا يحسنان منه شيئًا؛ فإنهما يثيران من غريب الطيب ما يُضحك كل ثكلان وإن تشدّد، وكل غضبان وإن أحرقه لهيب الغضب"[1].

وها هى ذى أعرابية نراها تؤدى الصلاة بشكل غريب، دون وضوء أو تيمم.

قال بعض الرواة: "خرجنا نريد البصرة فنزلنا على ماء لبنى سعد، فإذا أعرابية نائمة فأنبهناها للصلاة، فأتت الماء فوجدته باردًا فتوجهت إلى القبلة قاعدة ولم تمس الماء.

فكبرت ثم قالت: اللهم قمت وأنا عَجْلى، وصليت وأنا كَسْلى؛ فاغفر لى عدد الثرى. قال: فعجبنا وقلنا: ما تجوز لك الصلاة وما هذه بقراءة! قالت: والله إن هذه لصلاتى منذ أربعين سنة"[2].

وتلك أعرابية أخرى تستغرب سجود المصلين خلال الصلاة لقراءة الإمام آية تستدعى السجود.

---

(1) الحيوان، 6/3.

(2) جمع الجواهر، ص275.

"وصلت أعرابية فى شهر رمضان فقرأ الإمام السجدة فسجد وسجدت الناس، فخرجت تحضر[1] وتنادى: صعق الناس ورب الكعبة، وقامت القيامة!"[2].

وهذه أعرابية أخرى تفسِّر آية على غير معناها المراد، وتظن أن الإمام لقراءته تلك الآية فى الصلاة يدعو المصلين للفحش بها وبغيرها من النساء.

"دخلت أعرابية على قوم يصلون، فقرأ الإمام: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾[3] وجعل يرددها.

فجعلت الأعرابية تعدو وهى هاربة حتى جاءت لأختها، فقالت: يا أختاه، ما زال الإمام يأمرهم أن ينكحونا، حتى خشيت أن يقعوا علىّ"[4].

وأحيانًا نرى الأعرابية تثير الضحك بأقوالها أو بتصرفاتها، بعيدًا عن أمور الدين كما نرى فى هذه النادرة.

"قالوا: ودفعوا إلى أعرابية عِلْكًا[5] لتمضغه، فلم تفعل، فقيل لها فى ذلك، فقالت: ما فيه إلاَّ تعب الأضراس، وخيبة الحنجرة"[6].

---

(1) تحضر: تسرع.

(2) المصدر السابق، ص275، وانظر أيضًا: نثر الدر، ج6، قسم2، ص484.

(3) سورة النساء: من الآية 3.

(4) المستطرف، ص532.

(5) العلك: بالكسر: ضرب من صمغ الشجر كاللبان، يمضغ.

(6) البيان والتبيين، 95/2.

وأظن أن هذه النوادر – أو أكثرها على الأقل – عنصرا الصنعة والتوليد واضحان عليها، مما يجعلنا نظن أنها من كيد الشعوبية للأعراب الذين هم أصل العرب.

المرأة البخيلة

صورت لنا بعض النوادر نمط المرأة البخيلة؛ كما نرى فى هذه النادرة.

قال الجاحظ "سمعت بعض أصحابنا يذكر أن رجلاً أعرابيًّا كان يمشى فى بعض دروب الكوفة فى يوم قائظ[1] شديد الحر، فلظَّى به العطش، فتقدم إلى باب دار فطرقه فخرجت إليه جارية فقال لها: قد لظنى العطش[2] فاسقينى كوزًا من ماء، فقالت له: والله ما عندنا ماء ولكن عندنا لبن فهل لك أن تشرب منه؟!

فقال لها الرجل: ومن لى بذلك؟! فأخرجت إليه فخارة فيها لبن ودفعتها إليه فعجب الرجل وقال لنفسه: أليس يذكر عن "أهل الكوفة" البخل وأنا قد طلبت من أهل هذه الدار ماء فسقونى لبنًا، وهذا غاية الكرم.

ثم وضع الفخارة على فمه وشرب فبدا له فى اللبن ذنب فأرة ميتة! فنحى الفخارة عن فمه، وقال للجارية: يا هذه إنى أرى فى الفخارة فأرة ميتة!

---

(1) القيظ: شدة الحر.

(2) لظ به العطش: اشتد به العطش.

فقالت الجارية: فأرة أخرى؟! فرمى بالفخارة عن يده إلى الأرض فسقطت وانكسرت، فبادرت الجارية إلى مولاتها صارخة تولول وتقول: يا ستى كسر الرجل مبولتك!"[1].

وفى النادرة السابقة نرى عنصر المفارقة واضحًا، فالرجل الذى يسأل امرأة من أهل الكوفة بعض الماء إذا به يجدها تقدم له لبنًا، فيستغرب، لأن فعل هذه المرأة عكس ما هو مشهور عن أهل الكوفة من بخل فى رأيه.

وتكون المفارقة الأخرى أن الفخارة التى أحضرتها له ليشرب ما فيها من لبن، إذا بها فيها فأرة، ثم نكتشف أن هذه الفأرة غير فأرة أخرى كانت قد سقطت فى هذا اللبن، ثم تكون المفارقة الكبرى حين ألقى هذا الرجل بهذه الفخارة فى الأرض وكسرها غضبًا، لكونه قد احتيل عليه حين شرب لبنًا سقطت فيه فأرتان – فإذا بهذه الجارية تقول وهى تصرخ: يا ستى كسر الرجل مبولتك.

إذن فلم تكن هذه الجارية كريمة كما ظن هذا الشخص فى بداية النادرة، ولكنها شديدة البخل، فلا تجود إلا بما فسد من الطعام والشراب كما رأينا هنا.

وهذه نادرة أخرى نرى فيها امرأة أخرى بخيلة، لا تقدم للسائل الذى يسألها أى طعام أو شراب، بل تيئسه من ذلك تمامًا.

---

(1) البخلاء للخطيب البغدادى، ص134.

وقف سائل آخر "على باب، فأجابته امرأة من الدار: ما خبزنا اليوم. قال: فأعطنى كف دقيق. قالت: ما اشترينا بعد دقيقًا. قال: فاستقرضى من الجيران رغيفًا. قالت لا "يقرضونا".

قال: قد أحسنوا يا زانية. تستقرضين،ولا تردين، لا يقرضونك!!"[1].

المرأة الطفيلية

من الصعب أن نجد امرأة طفيلية فى النوادر القديمة التى رويت فى العصرين الأموى والعباسى؛ وذلك لأن خروج المرأة من بيتها كان نادرًا ، وكانت صناعة التطفيل – إن صح التعبير – خاصة بالرجل، فهو حر فى حركته، وقد اشتهر بعض الرجال بالتطفيل كأشعب وبنان وابن دُرَّاج.

ومع ذلك نجد نموذج المرأة الطفيلية فى نوادر قليلة، مثل هذه النادرة التى تنسب لجحا وذكرت فى كتب متأخرة، ولم تذكر فى مصادر قديمة مما يجعلنا نشك بعض الشىء فى صحة نسبتها لجحا.

وها هى ذى تلك النادرة.

جلس جحا مع "زوجته فتمنى أن يهدى له خروف مسلوخ ليتخذ الطعام من لون كذا ولون كذا.

فسمعته جارة له فظنت أنه أمر بعمل ما سمعته فانتظرت إلى وقت الطعام، ثم جاءت فقرعت الباب وقالت: شممت رائحة قدوركم فجئت لتطعمونى منها.

---

(1) نثر الدر، 323/5.

فقال جحا لامرأته: أنت طالق إن أقمنا فى هذه الدار التى جيرانها يتشممون الأمانى"[1].

المرأة الطماعة

تعرض لنا بعض النوادر نموذج المرأة الطماعة، التى ترغب فى أن تنال كل شىء يمكنها الحصول عليه، بل إنها ترغب فى كثير من الأشياء التى يصعب عليها نيلها، وتطمع فى أن تحظى بها.

وإذا كان أشعب هو أكثر شخصية مشهورة فى تراثنا بالطمع – كما توضح هذا النوادر العديدة التى تنسب له صفة الطمع – فإن أمه كانت – فيما يبدو – مشهورة بهذه الصفة، ولعله تأثر بأمه فى ميله للطمع.

وها هى ذى نادرة عن أم شعب وأشعب تصف لنا طمعهما.

قال أشعب: "تعلقت بأستار الكعبة فقلت: اللهم أذهب عنى الحرص والطلب إلى الناس، فمررت بالقرشيين وغيرهم فلم يعطنى أحد شيئًا، فجئت إلى أمى فقالت: ما لك جئت خائبًا؟ فأخبرتها، فقالت: لا والله لا تدخل حتى ترجع فتستقيل ربك.

فرجعت فقلت: يا رب أقلنى، ثم رجعت، فلم أمر بمجلس لقريش وغيرهم إلا أعطونى ووهب لى غلام، فجئت إلى أمى بحمار موقر من كل شىء، فقالت: ما هذا الغلام؟ فخفت أن أخبرها بالقصة فتموت فرحًا، فقلت: وهبوا لى، قالت: أى شىء؟ قلت: غين، قالت: وأى شىء غين؟ قلت: لام، قالت: وأى شىء لام؟ قلت: ألف، قالت: وأى شىء ألف؟

---

(1) أخبار جحا، ص80.

قلت: ميم، قالت: وأى شىء ميم؟ قلت: غلام. فغشى عليها، ولو لم أقطع الحروف لماتت الفاسقة فرحًا"[1].

كذلك نرى بعض المحيطين بأشعب – غير أمه – كانوا يتصفون بهذه الصفة التى تضخمت عنده، فهذه جارية طماعة استغل أشعب طمعها واحتال عليها، كما تصوِّر لنا ذلك هذه النادرة.

قال أشعب: "جاءتنى جارية بدينار وقالت: هذا وديعة عندك، فجعلته بين ثنى الفراش. فجاءت بعد أيامٍ وقالت: بأبى أنت! الدينار، فقلت: ارفعى فراشى وخذى ولده فإنه قد ولد، وكنت قد تركت إلى جنبه درهمًا، فأخذت الدرهم وتركت الدينار.

وعادت بعد أيام فوجدت معه درهمًا آخر فأخذته، وفى الثالثة كذلك. وجاءت فى الرابعة، فلما رأيتها بكيت، فقالت: ما يبكيك؟ قلت: مات دينارك فى النفاس. فقالت: وكيف يكون للدينار نفاس؟ قلت: يا فاسقة! تصدقين بالولادة ولا تصدقين بالنفاس!"[2].

المرأة المدَّعية

وكذلك من الأنماط المضحكة التى عرضتها النوادر نمط المرأة المدعية النفاجة، التى تدعى امتلاكها أشياء ليست عندها، وتصوِّر النادرة تلك الشخصية بشكل ساخر، خاصة حين يفضح ادعاءها شخص ساخر يشاركها فى النادرة، كما نرى فى هذه النادرة.

---

(1) الأغانى، 139/19، وانظر أيضًا: العقد الفريد، 135/8- 136، ونهاية الأرب، 28/4.

(2) نهاية الأرب، 27/4- 28، وانظر أيضًا: نثر الدر، 316/5.

"تزوج بعض العميان بسوداء، فقالت له: لو نظرت إلى حسنى وجمالى وبياضى لازددت فىَّ حبًّا.

فقال لها: لو كنت كما تقولين ما تركك لى البصراء"[1].

المرأة الحاسدة

ومن الأنماط التى تضحكنا – كما أضحكت من سبقنا – نمط الشخص الحسود الحقود، الذى يتم تصويره بشكل ساخر، يضخّم صفتا الحسد والحقد لديه.

وقد صوّرت بعض النوادر نمط المرأة الحاسدة، التى تحسد من تراه فى نعمة، حتى لو كانت هذه النعمة هى سهولة النزع على شخص يحتضر، كما نرى فى هذه النادرة.

كانت بالمدينة "عجوز شديدة العين، لا تنظر إلى شىء تستحسنه إلا عانته[2]، فدخلت على أشعب وهو فى الموت، وهو يقول لبنته: يا بنية؟ إذا مت فلا تندبينى والناس يسمعونك، فتقولين: واأبتاه أندبك للصوم والصلوات، وا أبتاه أندبك للفقه والقراءة فيكذبك الناس ويلعنونى.

والتفت أشعب فرأى المرأة، فغطى وجهه بكمه وقال لها: يا فلانة بالله إن كنت استحسنت شيئًا مما أنا فيه فصلى على النبى ﷺ لا تهلكينى.

---

(1) نهاية الأرب، 23/4.

(2) عانته: حسدته.

فغضبت المرأة وقالت: سخنت عينك، فى أى شىء أنت مما يستحسن! أنت فى آخر رمق! قال: قد علمت ولكن قلت لئلا تكونى قد استحسنت خفة الموت علىَّ وسهولة النزع، فيشتد ما أنا فيه.

وخرجت من عنده وهى تشتمه، وضحك كل من كان حوله من كلامه، ثم مات"[1].

المرأة المزواجة

والمرأة المزواجة من الأنماط الكوميدية التى حفلت بها بعض المسرحيات الكوميدية مثل مسرحية "الست هدى" لأحمد شوقى.

وقد صورت بعض النوادر نمط المرأة المزواجة بشكل ساخر، كما نرى فى هاتين النادرتين.

كان المطلب بن محمد "على قضاء مكة وقد كان عنده امرأة قد مات عنها أربعة أزواج، فمرض مرض الموت.

فجلست عند رأسه تبكى، وقالت: إلى من توصى بى؟ قال: إلى السادس الشقى"[2].

* * *

"خطب رجل امرأة أعرابية فقالت له: سل عنى بنى فلان وبنى فلان وبنى فلان. فعدَّتْ قبائل، فقال لها: وما علمهم بك؟ قالت: فى

(1) الأغانى، 19/178- 179، وانظر أيضًا: نهاية الأرب، 4/36.

(2) أخبار الظراف والمتماجنين، ص71.

كلهم قد نكحت. قال: أراك جلنفعة قد خزمتك الخزائم[1]. قالت: لا، ولكنى جوَّاله بالرَّحْل عنتريس"[2].

العجوز المتصابية

كذلك من الأنماط الكوميدية التى نراها فى الأعمال الدرامية الكوميدية – نمط العجوز المتصابية، التى تظن نفسها صغيرة مع أنها عجوز، وتقوم بأعمال لا تناسب شيخوختها كأن تعشق شابًّا صغيرًا، أو تحاول أن تتجمل بشكل لا يناسب سنها وشيخوختها.

وقد عرض هذه الشخصية بعض النوادر، كما نرى فى هذه النادرة.

"نظر شيخ من الأعراب إلى امرأته تتصنع وهى عجوز فقال:

عجوز تُرَجِّى أن تكون فتية ... وقد لَحِبَ الجنبان واحدودب الظهرُ

تدس إلى العطار سلعة بيتها ... وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر"[3].

المرأة الدلالة [الخاطبة]

ومن الأنماط الطريفة التى صورّتها النادرة نمط المرأة الدلالة (أى الخاطبة)، وتصوِّر بعض النوادر هذه الدلالة بشكل ساخر، فهى تغش بعض الخُطَّاب فَتُحَسِّن لهم بعض النساء، ثم يفاجئون ليلة الزفاف بأن

---

(1) الجلنفعة: المسنة. والخزائم: جمع خزامة بالكسر، وهو ما يجعل فى أنوف الإبل. وهذه كناية عن الإذلال والتسخير.

(2) تعنى أنها فتية ذات شدة، كالنافة العنتريس، وانظر النادرة فى: البيان والتبيين، 180/2

(3) الكامل، 312/1.

زوجاتهم اللائى تزوجوهن عن طريق هذه الدلالة ليس فيهن تلك الصفات التى ادَّعت الدلالة أنها بهن، بل إنهن قبيحات.

ومن الطريف أن نجد هذه الدلالة لا تخشى من مواجهة الأزواج بعد ذلك، بل إنها تبدو جريئة فى تلك المواجهات كما نرى فى هاتين النادرتين.

"قدَّم بعضهم عجوزًا دلالة إلى القاضى وقال: أصلح الله القاضى، زوجتنى هذه امرأة فلما دخلت بها وجدتها عرجاء.

فقالت: أصلح الله القاضى، زوجته امرأة يجامعها، ولم أعلم أنه يريد أن يحج عليها أو يسابق بها فى الحلبة أو يلعب عليها الكرة والصولجان"[1].

* * *

"جاءت دلالة إلى رجل، فقالت: عندى امرأة كأنها طاقة نرجسٍ، فتزوجها، فإذا هى عجوز قبيحة، فقال للدلالة: غششتنى، فقالت: لا والله! إنما شبهتها بطاقة نرجسٍ لأن شعرها أبيض، ووجهها أصفر، وساقها أخضر"[2].

---

(1) نهاية الأرب، 20/4.

(2) أخبار الظراف والمتماجنين، ص149- 150.